فَخَص الإنسان بالخلق بعد ما عَمَّ غيره ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [1] فخَصَّ التعليم للإنسان بعد تعميم التعليم بالقلم ، وذكر القلم لأنَّ التعليم بالقلم هو الخط وهو مستلزم لتعليم اللفظ ، فإنَّ الخط يطابقه ، وتعليم اللفظ هو البيان وهو مستلزم لتعليم العلم ، لأنَّ العبارة تطابق المعنى ، فصار تعليمه بالقلم مستلزماً للمراتب الثلاث : اللفظى ، والعلمى ، والرسمى ، بخلاف ما لو أطلق التعليم ، أو ذكر العلم فقط ، لم يكن ذلك مستوعباً للمراتب .

فذكر فى هذه السورة الوجود العينى والعلمى وأنَّ اللّه سبحانه هو معطيهما فهو خالق الخلق وخالق الإنسان ، وهو المعلِّم بالقلم ومعلِّم الإنسان .

فأما إثبات وجود الشئ فى الخارج قبل وجوده ، فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع ، وهو مخالف للكتاب والسُنَّة والإجماع .

* * *

فصل

فى أن الأصل الثانى لمذهب ابن عربى : وجود الخلق نفس وجود الحق

هذا أحد أصلى ابن عربى . وأما الأصل الآخر فقولهم : إنَّ وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه . وهذا انفردوا به عن جميع مثبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، وإنما هو حقيقه قول فرعون والقرامطة [2] المنكرين لوجود الصانع كما سنبينه إن شاء اللّه .

---

(١) العلق : ٣ - ٥

(٢) للتعريف بالقرامطة انظر جـ ١ هامش ص ٧٥ ، ١٧٢ (البلتاجى) .

فمَن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربى نظمه ونثره [1] وما يدعيه من أنَّ الحق يغتذى بالخلق ، لأن وجود الأعيان معتمد بالأعيان الثابتة فى العدم ، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود ، وبالفرق من حيث الماهية والأعيان ، ويزعم أنَّ هذا هو سر القَدَر ، لأنَّ الماهيات لا تقبل إلا ما هو ثابت لها فى العدم فى أنفسها ، فهى التى أحسنت وأساءت ، وحمدت وذمت ، والحق لم يعطها شيئاً إلا ما كانت عليه فى حال العدم .

فتدبر كلامه كيف انتظم شيئين : إنكار وجود الحق ، وإنكار خلقه لمخلوقاته ، فهو منكر للرب الذى خلق ، فلا يقر برب ولا بخلق ، ومنكر لرب العالمين ، فلا رب ولا عالمون مربوبون ، إذ ليس إلا أعيان ثابتة ووجود قائم بها ، فلا الأعيان مربوبة ولا الوجود مربوب ، ولا الأعيان مخلوقة ولا الوجود مخلوق . وهذا يفرِّق بين المظاهر والظاهر والمجلى والمتجلى ، لأن المظاهر عنده هى الأعيان الثابتة فى العدم ، وأما الظاهر فهو وجود الخلق

* * *

فصل

فى مذهب الصدر الرومى وما خالف فيه ابن عربى

وأما صاحبه الصدر الفخر الرومى [2] فإنه لا يقول إنَّ الوجود زائد على الماهية ، فإنه كان أدخل فى النظر والكلام من شيخه ، لكنه أكفر وأقل علماً

---

(١) هذا بمعنى قول شيخنا : إنَّ لكلام ابن عربى مفتاحاً مَن عرفه فهم جميع كلامه فأنا أقرأ الفتوحات كما أقرأ تاريخ ابن الأثير . وقال أيضاً : إنما أبهم هؤلاء الصوفية مذهبهم بالاصطلاحات التى تشبه الألغاز تقية وهرباً من تكفير الجمهور لهم .

(٢) الصدر الرومى : هو محمد بن إسحاق القونوى ، صدر الدين الرومى ، الصوفى ، صاحب ابن عربى وابن زوجته ، ولد بقونية عام ٦١٢ هـ ، أخذ عن ابن عربى الذى كان زوجا لأمه ، وجرت وبينه وبين نصرالطوسى مكاتبات فى مسائل فلسفية ، له « إعجاز البيان فى تفسير أم القرآن » =